transform Africa

RIAM
شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب
Réseau des initiatives agroécologiques au Maroc

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
الرباط
المغرب

تقرير حول أهمية اعتماد الفلاحة الإيكولوجية في المغرب

أستاذة يسرى ابوربيع

دجنبر 2020

© رشيدة المهديوي

أصبحت النماذج الفلاحية التي تهدف إلى احترام الطبيعة والصحة متنوعة ومؤسسية في السنوات الأخيرة، ويعزى ذلك إلى الدعم المتزايد للمجتمع المغربي لهذا النوع من الممارسات، حيث ظهر نموذجان فرعيان رئيسيان له: الأول يندرج ضمن النهج الصناعي ويهدف، من خلال شهادة الدولة، إلى الانتقال من سوق متخصص إلى سوق دولي ناشئ: ويتعلق الأمر «بالفلاحة البولوجية». أما النموذج الثاني فيعتمده الفلاحون وسكان القرى الجدد لأغراض غذائية بالأساس وتسويقية على نطاق صغير أو متوسط: ويتعلق الأمر بالفلاحة الإيكولوجية.

تعتقد رشيدة المهديوي، رئيسة شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب (RIAM)، أنه «يمكن ضمان مستقبل المغرب وأمنه الغذائي من خلال الفلاحة الايكولوجية[1]. فمن جهة وكما يذكرنا بذلك عضو آخر لدى شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب فإن «الفلاحة الإيكولوجية لم تأتي بجديد»[2]، إذ قامت بإحياء عدد من الممارسات القديمة التي تم التخلي عنها في سبيل الحداثة والتصنيع الزراعي. ففي المغرب على سبيل المثال، ما يزال الفلاحون إلى يومنا هذا يمارسون الفلاحة التقليدية بدون أية مدخلات كيميائية تحترم تناوب الفصول وكذا التنوع البيولوجي الطبيعي، ومع ذلك فإن هذه الطبقة من الفلاحين مهمشة في ظل التحول الزراعي الحالي. من جهة أخرى، تساهم الدراسات العلمية والابتكارات التقنية والرقمية في المجال الفلاحي في إمكانية التكيف مع التغيرات المناخية ومع احتياجات السكان. إضافة إلى ذلك، وفي الوقت الذي تستخدم فيه الفلاحة التقليدية أساسا لتلبية احتياجات الأسرة أو المجتمع تحيل الفلاحة الإيكولوجية على الممارسات الزراعية وطرق الإنتاج التي تحترم بوعي البيئة وتراعي حسا معينًا بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية[3].

يرمي هذا المقال إلى تحديد حالة الفلاحة الإيكولوجية في المغرب وتقييمها بوضوح، وقد تم إنجازه بناءا على سلسلة من المقابلات التي أجريت مع متخصصين في الفلاحة الإيكولوجية، حيث يهدف إلى مناقشة المعنى المعياري للفلاحة الإيكولوجية باعتباره نموذجا فلاحيا وكذا باعتباره أسلوبا مسؤولا للاستهلاك ونموذجا اقتصاديا مستداما وأداة للمطالبة بهوية مشتركة وتنموية.

---

1. مقابلة مع رشيدة المهديوي، رئيسة شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.
2. مقابلة مع كاثرين فيليبون، عضو شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.
3. مقابلة مع أني ملوكي، الرئيسة السابقة لشبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.

نـهـــج مـســتـــدام ونـاشـــط

إن مستوى الوعي بالفلاحة الإيكولوجية منخفض في المغرب، إذ غالبا ما يتم الخلط بينها وبين «البلدي» أو بينها وبين المنتجات التي تحمل علامة «الزراعة البيولوجية». ومع ذلك، فإن إنتاجها، والمتكون أساسا من الأحياء البرية والمحاصيل الغذائية، مرتفع نسبيًا، وأفضل مثال على ذلك هو شجرة الأركان، خاصة وأن الدولة توليها اهتماما كبيرا[4].

لقد بدأ العديد من المغاربة في التوجه نحو الفلاحة الإيكولوجية، باعتبارها وسيلة لحماية صحة الأفراد ووسيلة لمحاربة ظاهرة الاحتباس الحراري، ونموذجا مضادا للصناعة الرأسمالية، أو ببساطة، باعتبارها أكثر مردودية على المدى الطويل. في هذا الصدد، يرى أحمد حكيمي، مهندس اتصالات تحول إلى منتِج ومكوِّن في الفلاحة الإيكولوجية، بأنه «إذا ما قارنا تكاليف الفلاحة الإيكولوجية بالمقارنة مع الكيماويات الفلاحية فستميل الكفة لصالح الفلاحة الإيكولوجية»[5]. ومع ذلك، فإن هذا النوع من الممارسات عبارة عن ثمرة نضال يشرحه أحد أعضاء شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب قائلا: «النضال من أجل الاعتراف بمفهوم الفلاحة الإيكولوجية وتقييمه على مستوى الدولة»[6].

شـبكة مبـادرات الفلاحـة البيئيـة بالمغـرب «ريـام»: دور مركـزي في حكامة المغرب في مجال الفلاحة المسـتدامة

تعتبر شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب شبكة من المنتجين والمنتجات والنشطاء والمستهلكين، هدفها تعزيز الفلاحة الإيكولوجية كنموذج فلاحي واقتصادي، حيث أن أحد مشاريعها الرئيسية هو تطوير «أسواق الفلاحين التضامنية» وشبكات تسويق «السلال البيولوجية»، كما أن الإنجاز الملحوظ الآخر لـشبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب هو إنشاء علامة «الفلاحة البيئية المغرب» بناءً على نظام تشاركي للضمان SPG، والذي يختلف عن شهادة «البيو» الممنوحة من طرف الدولة.

تحيـل الفلاحـة الإيكولوجيـة فـي تعريفهـا العـام على اعتمـاد أنظمة فلاحيـة شـاملة تدمـج الاعتبـارات الزراعيـة والبيئيـة والمناخيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة فـي نفـس الوقـت، هدفهـا هـو ممارسـة الفلاحـة المسـتدامة دون مدخـلات كيميائيـة، ودون اسـتهلاك الكثير مـن الميـاه والطاقـة، مع تعزيـز إحياء التربـة في نفـس الوقت، وهو مـا من شـأنه تعزيز التنـوع البيولوجي وإنتاج زراعـة طبيعية متعددة

4. «الإنتاج العضوي في المغرب» الفلاحة في المغرب: http://www.agri-mag.com/2017/04/la-production-biologique-au-maroc/

5. مقابلة مع أحمد حكيمي، مزارع ومكون في الفلاحة الإيكولوجية، جهة الدار البيضاء. شتنبر 2020.

6. مقابلة مع جون إيزبيك، مهندس زراعي في علوم التربة، مسؤول تقني في التعاونية المغربية الأفريقية للفلاحة الإيكولوجية ومدير مكتب الدراسات البيئية. الرباط، شتنبر 2020.

© رشيدة المهديوي

المحاصيل وذات جودة عالية من أجل الصحة. بالتالي فإن الفلاحة الإيكولوجية هي عبارة عن زراعة بيولوجية دون الحاجة إلى الحصول على العلامة المعترف بها من طرف وزارة الفلاحة المغربية، في حين أن الزراعة البيولوجية المعترف بها في المغرب لا تراعي بالضرورة الجوانب الاجتماعية البيئية المتفق عليها في نهج الفلاحة الإيكولوجية. إضافة إلى ذلك، وكما تفيد رجاء الجبالي، مديرة جمعية الأرض والإنسانية المغرب، في هذا الصدد فإن «الفلاحة الإيكولوجية وجدت من أجل استغلالات بسيطة أو تعاونيات بحيث تحارب الفقر على المستوى الوطني، في حين قد يكون هدف الفلاحة العضوية هو تصدير كميات كبيرة من المنتوجات»[7]. وفي الواقع، في المغرب كما هو الحال في الخارج، فإن ممارسي الفلاحة البيولوجية المصادق عليها، يرغبون في احترام قواعد الفلاحة الصناعية على مستوى واسع حتى يتمكنوا من منافستها. وفي نفس الموضوع، يرى سليم قباج، رئيس نادي المقاولين في الزراعة العضوية، أن « ما لا يندرج ضمن الأعمال لا يبقى مستداما، ففي مرحلة ما، سيتوجب على النضال أن يضمن تحقيق توازن الميزانية (...) الجميع يشتكي من الأسعار لكن إن لم يُستهلك المنتوج على نطاق واسع، فإن ثمنه لن ينخفض، هذا هو قانون العرض والطلب»[8].

إضافة إلى ما سبق، فإن الرغبة في أن يكون الإنتاج بيولوجيا، يعني أن يكون الإنتاج بدون مبيدات كيماوية، إذ ترتكز الفلاحة الإيكولوجية على عمليات مختلفة مثل الفلاحة المستدامة والزراعة الحيوية كما ترمي إلى تحقيق أهداف متعددة منها إصلاح التربة (باجتناب الحرث) أو تحقيق الشراكة الاجتماعية والتضامنية (بتعزيز تقدير الفلاحين لذواتهم وثمن منتوجاتهم). وبالتالي فإن ممارسة الفلاحة الإيكولوجية لا تنحصر في طريقة واحدة إذ أن الأمر يتعلق قبل كل شيء بالمفهوم، حيث تكمن الصعوبة في هذا البعد: في السياسة، حيث أن أشرس النزاعات تكون حول المعايير المعرفية باعتبارها مجموعة من الأفكار والقيم والطرق للقيام بفعل معين. إضافة إلى أن القوة الإقتصادية او النضالية وقوة العامل الاقتصادي يقاس بقدرته على نشر معاييره الخاصة وجعلها «طبيعة» جديدة تتحول بحد ذاتها إلى معيار. وهذا يعني تقبلنا لها باعتبارها عادية بعد أن أصبحت قاعدة على المعايير الأخرى الإلتزام بها.

	الفلاحة الإيكولوجية	الفلاحة المستدامة	الفلاحة البيولوجية	الفلاحة التجديدية	الزراعة الحيوية
الخصائص	دراسة الإيكولوجيا والنظام الغذائي في مجموع الأنظمة التي تدمج العلوم الغذائية وعلوم الإيكولوجية والعلوم الإنسانية والإجتماعية من منظور شامل.	نهج فلاحي شامل قائم على الطبيعة هدفه تطوير أنظمة فلاحية متآزرة، تقوم على تحقيق التنوع الفلاحي وتنوع المحاصيل، وكذا تعزيز مرونتها وإنتاجيتها، هدفه الرئيسي هو تعزيز أنظمة مستدامة اقتصاديًا وعلى المدى الطويل.	طريقة إنتاج يحكمها قانون يمنع استخدام المنتجات الاصطناعية (الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية وغيرها) ويعوضها بطرق أخرى بما فيها المنتجات النباتية أو الحيوانية. يمكن ممارسة الفلاحة البيولوجية على نطاق ضيق أو على نطاق صناعي.	مجموعة من الممارسات الزراعية التي تهدف بالأساس إلى تحسين جودة التربة أو تجديد خصوبتها بشكل طبيعي، وبالتالي تحسين القدرة الإنتاجية.	شكل من أشكال الزراعة العضوية يقوم على البحث عن التوازن بين نظام الإنتاج وبيئته العامة التي هي الأرض بالمعنى الواسع. تأخذ في الاعتبار إيقاعات اليوم والسنة وكذلك الدورة القمرية والإيقاعات الفلكية.

7. لقاء مع رجاء الجبالي، مديرة جمعية الأرض والإنسانية في المغرب، جهة الدار البيضاء، نونبر 2020.
8. تصريح سليم قباج، رئيس نادي القاولون البيو لتلفزيون لوماتان على هامش معرض «بيو إكسبو المغرب». الدار البيضاء، 21 يونيو 2019. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=-G_oHiGvidQ

© سفيان فارس

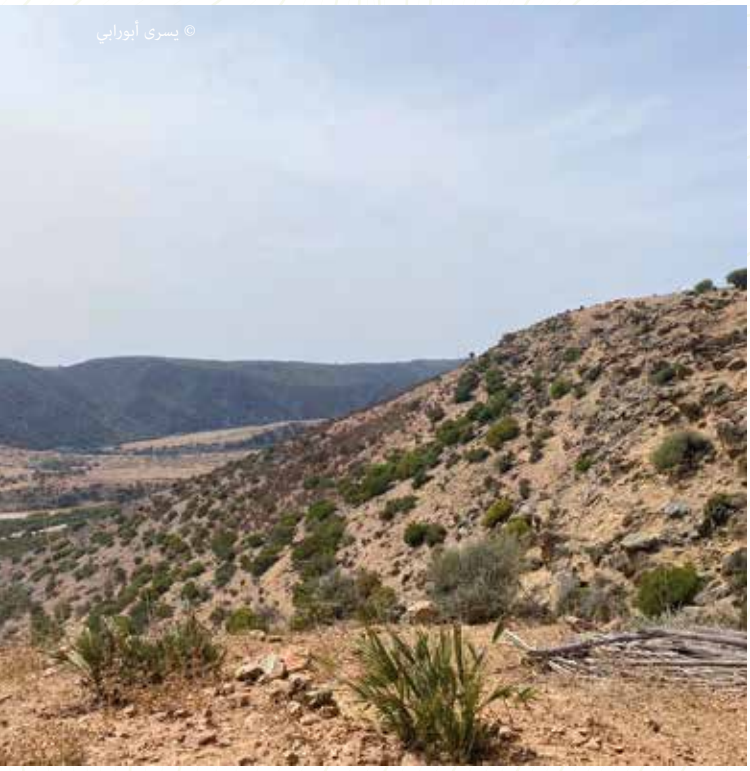
© يسرى أبورابي

ترتبط المعيارية السائدة حاليا في المجال الفلاحي بممارسات الصناعة الفلاحية. هناك مخاوف على الصعيد العالمي، من انعدام الأمن الغذائي المرتبط بالنمو الديموغرافي وندرة الموارد، والتي يتم السعي إلى الحد منها من خلال التصنيع الفلاحي. وهو نفس خطاب صناع القرار السياسي في المغرب والشركات الخاصة التي تهدف إلى ضمان الأمن الغذائي في المغرب بل والمشاركة في النمو الاقتصادي من خلال تطوير المنتجات الموجهة للتصدير. وبالتالي، فإن الميول موجه نحو توسيع المساحات والفلاحة الأحادية، والتعاقد على الإنتاج الفلاحي. لقد بدأ الفلاحون بالانتقال إلى وضع العامل الفلاحي وإلى الاندماج في أسواق جديدة، ويؤجرون على عملهم بشكل يومي أو بحسب المهمة الموكلة إليهم وأحيانا بشكل دائم. وقد أثرت هذه التحولات في الروابط الاجتماعية داخل المناطق القروية، بحيث لم يعد الارتباط بالأرض مجرد نمط عيش بل أصبح مهنة. إضافة إلى أن العلاقات بين الجنسين قد تغيرت، فكما لاحظ هؤلاء الباحثون خلال دراستهم حول الأساليب الجديدة للعمل الفلاحي في منطقة سايس، فإن «الرجال هم المستفيدون شكل أساسي من فرص العمل الجديدة، مما يساهم في تقوية هويتهم الذكورية. (..). في حين تحتاج النساء إلى مناقشة هويتهن كعاملات، من أجل الحفاظ على شرفهن وشرف أزواجهن، أو لتجنب حديث الجيران بالسوء عنهن. (...) كما تتعرض الفتيات للتحرش من طرف العمال أو المديرين أو المشرفين. لكنهن لا يتقدمن بأية شكاوى لأن سمعتهن ستصبح على المحك»[9]. إن العمل داخل حقول الأسرة يختلف عن العمل كأجيرة في أراضي الآخرين. كما أن عمل النساء ليس هو الإشكال وإنما التعاقد على العمل خارج إطار المجتمع هو الذي يعرض النساء للخطر. ويعزى هذا الوضع إلى مرحلة انتقالية لا تراعي التعليم والأمن وإعادة تحديد المسؤولية الاجتماعية.

وفقًا لمنظمة الأغذية والزراعة، إذا استجابت الصناعات الغذائية للطلب القوي على المنتجات ذات القيمة المضافة العالية، فلن يتشارك الجميع في تقاسم امتيازاتها، حيث سيواجه المنتجون والمنتجات الصغار صعوبة في الامتثال للمعايير الصارمة. كما يمكن للتصنيع السريع أن يؤدي إلى إحداث ضرر في العديد من البلدان النامية لأن عددا قليلا من الحكومات هي التي تأخذ في عي الاعتبار القضايا المعقدة التي تصحب هذه العملية[10].

9. ليزا بوسنبروك، الراجي مصطفى؛ والعالم نجوى. «أنماط جديدة للعمل الفلاحي في سايس بالمغرب: ظهور عدم المساواة في الهوية بين العامل والعاملة؟» في: المغرب في الوقت الحاضر: من عصر إلى آخر، مجتمع متغير، الدار البيضاء مركز جاك بيرك، 2015، https://books.openedition.org/cjb/1054?lang=fr

10. منظمة الأغذية والزراعة، «إزدهار الأغذية الزراعية: نحو رؤية متماسكة»، أبريل 2007، الرابط: http://www.fao.org/ag/fr/magazine/0704sp3.htm

دور منظمة الأغذية والزراعة في تحسين الفلاحة الإيكولوجية في المغرب[11]

إن الفلاحـة الإيكولوجيـة جـزء لا يتجـزأ مـن رؤيـة منظمـة الأغذيـة من أجـل غذاء صحـي وفلاحة مسـتدامة. حيث ذكـرت ممثلة المنظمـة بالمغـرب، السـيدة فلورانـس رول، بـأن نمـوذج الثـورة الخضـراء قد بلغ حـده وأن المنظمـة أصبحت تنص علـى «تعزيز إدمـاج مقاربـات الفلاحـة المسـتدامة بمـا فيهـا الفلاحـة الإيكولوجيـة، فـي أنشـطة التخطيـط القادمـة[12]». تقـود المنظمـة عدة مشـاريع فـي هـذا الصـدد، مثـل مشـروع « الحفاظ على تنـوع المحاصيل والحـد من تلف الأراضـي وذلك باعتماد تدبير يتماشـى مـع أنظمـة التـراث الفلاحـي» حيـث يقـوم هـذا الأخيـر على تدبيـر تكيفي للتـراث الفلاحـي في خمسـة واحات. خاصـة واحات إملشـيل وآيـت منصـور وفكيك آسـا وآقـا وإدماجها في نظـام التـراث الفلاحي العالمـي (SIPAM).

يجـب الإعتـراف بـأن هـذه المعياريـة لا تشـمل المنتجيـن والمنتجـات فـي مجـال الفلاحـة الإيكولوجيـة فـي المغـرب. تعتبـر زينـب بـن رحمـون، المنتجـة فـي منطقـة السـهول، خيـر مثـال علـى ذلـك، حيـث تركـت وظيفتهـا كعاملـة غابويـة لتتفـرغ تمامـا لمشـروعها والـذي تقدمـه علـى أنـه أسـلوب حيـاة شـامل، فقـد انتقلـت مـن أسـلوب الإنتـاج والتسـويق إلـى أسـلوب إدارة الموظفيـن وأطفالهـم والذيـن تعتبرهـم «أبنـاء روحييـن» لهـا حيـث تهـدف مـن خـلال عملهـا إلـى تحقيـق هـدف مقـدس. فهـي تظـن أنهـا تخـدم القدسـية مـن خـلال هـذا المشـروع وبذلـك تُعـرّف عـن نفسـها علـى أنهـا متطوعـة فـي خدمـة البيئـة والأشـخاص الذيـن يتغـذون علـى أرضهـا التـي تقطـن بهـا أسـرتان، وهـي تمـارس الفلاحـة المسـتدامة، والفلاحـة الحيويـة، وتحـرص علـى الحفـاظ علـى البـذور القديمـة والمنسـية وإعـادة اسـتخدامها، وعلـى تحقيـق شـراكة الأعمـال الاجتماعيـة والتضامنيـة فـي نفـس الوقـت[13]. ويتفـق العديـد مـن للمشـتغلين فـي مجـال الفلاحـة الإيكولوجيـة علـى أن العمـل فـي الأرض بهـذه الطريقـة لـه قدسـية حقيقيـة[14].

إن أمثـال زينـب بنرحمـون غيـر مهمشـين ليـس فـي الجانـب المتعلـق بـإدراج منتجـي ومنتجـات الفلاحـة الإيكولوجيـة المغاربـة ضمـن مقاربـة تعنـى بتحسـين المـواد لصالـح خدمـة الطبيعـة والكائـن البشـري، وإنمـا مـن جانـب الأغلبيـة السـاحقة، إن لـم نقـل الجميـع، مـن المنتجيـن والمنتجـات المدركيـن للتحديـات البيئيـة والإجتماعيـة والإقتصاديـة والسياسـية التـي قـد تواجههـا هـذه المقاربـة والواعيـن بهـا. وهـذا شـأن رضـوان الخلوقـي، إبـن أسـرة فلاحيـة تعيـش فـي منطقـة السـهول والـذي قـرر الإنتقـال إلـى الفلاحـة الإيكولوجيـة حيـث تمكـن مـن خلالهـا مـن إنشـاء مقاولـة صغيـرة (متخصصـة فـي بيـع السـلال البيولوجيـة) كمـا تلقـى تكوينـات تجاريـة وتقنيـة وتمكـن مـن السـفر إلـى اليابـان وأوروبـا وأفريقيـا وتعلـم العديـد مـن اللغـات ونجـح بصفـة عامـة فـي الرفـع مـن مسـتواه المعرفـي ومـن قدراتـه[15].

ويضـاف علـى أن الفلاحـة الإيكولوجيـة هـو نهـج متشـدد لأن عائـد هـذا النـوع مـن الاسـتغلال لا يصـل إلـى سـقف مـا يسـمى بالمحاصيـل التقليديـة. وبالتالـي، ومـن أجـل التعويـض عـن قلـة المحاصيـل، تكـون أسـعار المنتجـات مرتفعـة.

---

11. مقابلة مع فلورانس رول، ممثلة منظمة الأغذية والزراعة بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.

12. كلمة السيدة فلورانس رول، ممثلة منظمة الأغذية والزراعة بالمغرب، خلال ندوة للقرض الفلاحي المغربي، ومنظمة الأغذية والزراعة الفاو، والفدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية حول «الفلاحة المستدامة، مسارات متعددة نحو تنمية شاملة وبيئية» على هامش المعرض الدولي للفلاحة بالمغرب، مكناس، أبريل 2019.

13. مقابلة مع زينب بنرحمون وزيارة المزرعة المتخصصة في الفلاحة الإيكولوجية، « حدائق زينب» السهول، شتنبر 2020.

14. مقابلة مع جوليان سانسوليو، مستشار ومكون في الفلاحة الإيكولوجية، جهة مراكش. شتنبر 2020.

15. مقابلة مع رضوان الخلوقي وزيارة مزرعته المتخصصة في الفلاحة الإيكولوجية، السهول، يوليوز 2020.

© يسرى أبورابي

مكـاسـب غيـر ملـمـوسـة

يحصل جميع الناشطين في مجال الفلاحة الإيكولوجية، سواء كانوا قرويين جدد مثل زينب بن رحمون أو منحدرين من أسر فلاحية مثل رضوان الخلوقي، على مكاسب غير ملموسة، تتجاوز، من وجهة نظرهم، العائد المالي المنخفض بما فيها : 1/ العلم والمعرفة المكتسبة، 2/ الخدمة المقدمة للبيئة و3/ البعد الاجتماعي والتضامني لنموذجهم الاقتصادي، حيث تساهم هذه الأبعاد الثلاثة حتما في منح تقدير للذات.

فيما يتعلق بأول مكسب غير ملموس (أي المعرفة) فيوجد ضمن مجموعة الناشطين في مجال الفلاحة الإيكولوجية عناصر بحاجة إلى تعلم كيفية الرفع من قدرة المزروعات على مقاومة الأخطار المناخية والآفات. ونظرًا لأن هذه المعلومات ليست متاحة دائمًا وحيث أنها تستند إلى المعرفة والاختبارات التجريبية المرتبطة بمكان المحصول ونوعه فإن المنتجين المتخصصين في الفلاحة الإيكولوجية يعتمدون على التعلم والتكوين الذاتيين. إضافة إلى تطويرهم لشبكات تضامنية تسهلها الإنترنت، بهدف تبادل المعلومات بينهم وكذا نتائج تجاربهم الخاصة. وهذا السلوك هو ما نجده نادرا بين منتجي الفلاحة التقليدية في المغرب، حيث يعتمد هؤلاء مقاربةً تقوم على إعادة إنتاج المعرفة الأسرية أو على تطبيق توصيات مهندسي الدولة، وأخيرا على تقييم المحصول والإنتاج بهدف زيادة الأرباح. وفي حالة الفلاحين التقليديين الذين انتقلوا إلى الفلاحة الإيكولوجية، يبدو أن المعرفة المكتسبة والقدرة على نقلها إلى الآخر تؤثر بوضوح على تقديرهم لذواتهم كفلاحين، حيث يبدو هذا البعد جليا بين الفلاحين التقليديين مثل رضوان الخلوقي. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن النساء المنتجات العاملات في الفلاحة الإيكولوجية يحظين بتقدير واحترام أكبر من قبل زملائهن مقارنة بالعاملات في الفلاحة.

أما المكسب الغير الملموس الثاني (الخدمة المقدمة للبيئة)، فإنه مرتبط بتراكم المعرفة. إذ كلما زاد تدريب المنتجين المتخصصين في الفلاحة الإيكولوجية على ممارسة الزراعة المستدامة والمسؤولة، زاد وعيهم بعلاقة هذه الممارسات بالحفاظ على التنوع البيولوجي، ويزداد بالتالي وعيهم وتركيزهم على الممارسات البسيطة التي أُدمجت لأسباب تتعلق بالبقاء، مثل توفير المياه.

أغريسيد (Agrisud) ومنظمة نورسيس (Norsys): مثال على انخراط القطاع الخاص[16]

أغريسيد عبارة عن منظمة غير حكومية تتبنى مشاريع تنمية في 14 بلد بشراكة مع الجمعيات المحلية، وهي تعمل في المغرب بشراكة مع مؤسسة نورسيس، وهي مؤسسة أعمال متخصصة في المعلوميات. تهدف هذه الشراكة بين الاثنين إلى دعم المقاولات الفلاحية الأسرية الصغيرة جدا في تحقيق التنمية المستدامة وفي أعمالها، حيث يساهم عملهم أيضا في ترسيخ الدينامية الترابية وذلك بهدف جعل بيئة هذه المقاولات الفلاحية ملائمة على الصعيد البيئي والإجتماعي والإقتصادي.

في هذا الصدد، فإن التعاون بين نورسيس وأغريسيد ساهم في دعم 49 أسرة فلاحية في تطوير أداء أعمالهم، بالموازاة مع الحفاظ على التربة والتنوع البيولوجي والمياه. وفي نفس السياق، ساهم مشروع مهم اخر في مجال الفلاحة الإيكولوجية في منطقة مراكش في دعم الفلاحين لتسويق منتجاتهم.

فزينب بنرحمون مثلا فخورة بالقول أنها بالكاد تسقي أرضها وتلجأ إلى آليات متعددة تساعد على الحفاظ على المياه الموجودة، حيث صرحت: «تعاني الطبيعة أحيانا، ولكن إذا كان على المزروعات أن تموت بسبب نقص المياه، فعلينا أن نثق بالطبيعة، فهذه المزروعات ستنبت من جديد بل وأكثر قوة في العام القادم»[17]. يمكن القول أن الناشطين في مجال الفلاحة الإيكولوجية قد طوروا بطريقة ما أخلاقًا بيئية، يربطها البعض بواجب روحي. وذاك هو الحال عند زينب بن رحمون إذ يبدو أن خدمة البيئة تمنحها شعوراً بالارتقاء الإيجابي. وتتعارض هذه الفكرة مع تلك القائلة بأن الإنسان مسير بالأساس بمصالحه، أي برغبته في مضاعفة أرباحه. لكن يبدو أن هذه الفكرة تدعم الفكرة المعاكسة والتي تفيد بأن تحرر الإنسان هو نتيجة للعمل التضامني. وفي نهاية الأمر، فإن المشتغلين في مجال الفلاحة الإيكولوجية المتشربين للأخلاق البيئية لا يملكون بالضرورة خطابا أخلاقيا أو تذنيبيا حول البيئة.

فيما يتعلق بالمكسب غير الملموس الثالث (البعد الاجتماعي والتضامني)، فإنه بإمكاننا ملاحظة إنشاء مجتمع معياري وإنساني حقيقي خاص بالمشتغلين في مجال الفلاحة الإيكولوجية. يتجلى ذلك في إنشاء الشبكات والجمعيات وكذا من خلال تبادل المعلومات والمنتجات، حيث تعتبر البذور خير مثال على ذلك، فللتغلب على صعوبات الحصول على البذور (غير العقيمة والتي تنتج مجموعة متنوعة من المحاصيل) اعتمد المشتغلون في مجال الفلاحة الإيكولوجية نظاما معروفا جدًا في المغرب القديم وهو تبادل البذور غير الرسمي. فالبذور التي تزرع في حقل معين هذا العام، تزرع في حقل غيره في العام التالي، من أجل الرفع من مناعة هذا الأخير وقدرته على المقاومة في مختلف الأوساط المناخية. وقد تمكن الكثيرون، من خلال هذا التبادل، من إعادة انتاج المنتجات القديمة في مناطق بأكملها، وهو ما فعله عبد العزيز رامي، على سبيل المثال، وهو ينحدر من أسرة فلاحية في منطقة مكناس، حيث انتقل إلى الفلاحة الإيكولوجية وأعاد إلى منطقته نوعا من القمح يعود إلى المغرب القديم يسمى «الزريعة الحرشة». ومن وجهة نظر هذا الأخير فإن «تبادل البذور هو تصرف طبيعي جدًا يقوم على المشاركة»[18].

إضافة إلى ذلك، فإن الغالبية العظمى من مشاريع الفلاحة الإيكولوجية في المغرب تقوم على نموذج اقتصادي يعزز توزيعا أكثر إنصافًا للإيرادات بين الفلاحين والعاملين في الفلاحة. وحيث أن مساحة الأرض صغيرة، فإن الفلاحين فضلوا إنشاء تعاونيات بحيث تكون حقوق الشركاء متعادلة وحيث تقسم المنافع بينهم. وهذا هو النموذج المفضل خاصة لدى سهاد أزنود، التي تلقت تكوينا في تربية النحل وهي مؤسسة للعديد من التعاونيات بما في ذلك تعاونية «أرياف كيسان» التي قامت بإنشائها سنة 2006[19]. وقد استطاعت سهاد أزنود من خلال هذا النموذج الاقتصادي والاجتماعي والتضامني، تعزيز تكوين عدد كبير من النساء في الفلاحة الإيكولوجية كما أنها أعادت إنتاج البذور القديمة المهددة، خاصة بذور الحنطة الصغيرة.

16. مقابلة مع إيمان الطعيم، مديرة مؤسسة نورسيس، مراكش، نونبر 2020.
17. مقابلة مع زينب بنرحمون وزيارة المزرعة المتخصصة في الفلاحة الإيكولوجية، «حديقة زينب» السهول، شتنبر 2020.
18. مقابلة مع عبد العزيز رامي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، مكناس، شتنبر 2020.
19. مقابلة مع سهاد أزنود، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، فاس، شتنبر 2020.

هـل يرجـع نشـوء قطـاع الفلاحـة الإيكولوجيـة المحلي إلـى جمعيـة الأرض والإنسـانية المغـرب؟

تعمـل جمعيـة الأرض والإنسـانية فـي المغـرب، ومنـذ عـام 2001، علـى تعزيـز اسـتقلالية الفلاحيـن مـن النسـاء والرجـال، وذلـك مـن خـلال دعمهـم لتحقيـق إنتـاج زراعـى مسـتدام مـع تقييـم أراضـي الفلاحـة الإيكولوجيـة. وعليـه فـإن فكـرة تكويـن المنشـطين فـي ميـدان الفلاحـة الإيكولوجيـة يظـل الشـغل الشـاغل للجمعيـة بالإضافـة إلـى نشـر النشـاطات التـي تقـوم علـى الفلاحـة الإيكولوجية علـى الصعيد المحلـي. ويعد ملتقى المبـادرات والتطبيقـات الفلاحيـة والإيكولوجيـة الكائـن فـي قريـة دوار سـكورة موقعـا للتكويـن مخصص للبحـث والتجريب يسـعى لنشـر تقنيـات مسـتدامة وفعاليتهـا مثبتـة فـي مزرعـة تجريبيـة. إضافة إلى ذلك يحمل مشـروع «النسـاء المزارعات»، المنجـز بشـراكة مـع منظمـة الأمـم المتحـدة بعـدا اجتماعيا لا يمكـن إنـكاره حيث يشـمل هذا المشـروع تدريـب مجموعات نسـائية علـى إنتـاج البـذور المحليـة والمحافظـة عليهـا، حتـى يتسـنى لهـن تطوير أنشـطة مدرة للدخـل، وكذا تعزيـز دورهن فـي الحيـاة الفلاحية.

© رشيدة المهديوي

رهـــان قـابـــل للتحـقـيـــق

إن الانتقـال مـن الفلاحـة التقليديـة إلـى الفلاحـة الإيكولوجيـة ليـس أمـرا سـهلا بالنسـبة للفـلاح التقليـدي فالأمر يسـتدعي توفـر أرض لم تتضـرر كثيـرًا مـن الحـرث والمدخـلات وتكـون خصبـة طبيعيـا. كمـا يحتـاج الفـلاح إلـى رأسـمال يكفيـه لفتـرة الانتقـال. هـذا بالإضافـة علـى المعـارف وشـبكات تسـويق واسـعة. يعتبـر الناقـدون للفلاحـة الإيكولوجيـة هـذا الانتقـال مضيعـة للوقـت فـي حيـن يعتبـره المدافعـون عنهـا رهانـا يمكـن كسـبه بشـرط أن يتلقـى الدعـم وهنا يأتـي دور المسـتهلك والدولـة.

علـى عكـس الإعتقـاد السـائد، حصلـت نسـبة كافيـة مـن الأسـر المغربيـة علـى منـح تغطـي التكلفـة الإضافيـة المحتملـة للإنتـاج البيولوجـي. فمـن جهـة، نجـد النفقـات التـي تتأثـر حاليًـا بالإعلانات لصالـح المنتجـات المصنعـة والوجبـات السـريعة، وهـو مـا يجعـل عـدد المسـتهلكين محـدودا حاليـا. فوفقـا للمشـتغلين فـي مجـال الفلاحـة الإيكولوجيـة « لا يـزال المغاربـة يفضلـون إنفـاق أموالهـم علـى سـيارة أو صالـون علـى أن ينفقـوا مـالا أكثـر بقليل علـى طعام صحـي»[20] والتالـي، فإن الأمـر لا يتعلق بالإمكانيات وإنمـا بالمعايير، والمعيـار السـائد حاليـا هو اسـتهلاك المنتجـات التقليديـة التي تباع فـي الأسـواق الكبـرى، في حيـن أن البحث عـن المنتوجـات الفلاحية الإيكولوجيـة مهمـش تمامـا. ومـن جهـة أخـرى، قـد يجـد الأشـخاص المهتميـن باسـتهلاك المنتجـات المسـتدامة صعوبة فـي العثور على قنـوات التسـويق المناسـبة. ومـن أجل إثـارة اهتمام المسـتهلك بهذا النـوع مـن المنتجـات، فقـد عـزم متخصصـوا الفلاحـة الإيكولوجيـة علـى مطالبـة الدولـة بالإشـراف علـى هذا النـوع من الفلاحـة، خاصة شـبكة مبـادرات الفلاحـة الإيكولوجيـة بالمغـرب «ريـام» والفدراليـة البيمهنيـة المغربيـة للسلسـلة البيولوجيـة FIMABIO (واللتـان تروجـان بالأسـاس للمنتجـات البيولوجية المعتمدة من قبـل الدولة). يعـد هـذا السـعي حديـث العهـد، حيـث بـدأ فـي العقـد الماضـي، لكنـه مـع ذلـك حقـق تقدمـا كبيرا.

شُـرِّع القانـون رقـم 12-39[21] سـنة 2013 بهـدف تأطيـر الإنتـاج البيولوجـي للمنتوجـات الفلاحية، حيث يسـمح للمنتجين والمنتجات بالحصـول علـى شـهادة تفيـد خلـو منتجاتهم مـن مواد معدلـة وراثيا ومـن المدخـلات الاصطناعيـة (النحـاس، والكبريـت... إلـخ) وبـأن المدخـلات الطبيعيـة المسـتخدمة تحتـرم شـروط دفتـر تحمـلات خـاص، ويشـار إلـى أن الحصـول علـى هذه الشـهادة ليس أمرا سـهلا ويتطلـب جهـدًا ماليًـا كبيـرًا.[22]

20. مقابلة مع الحسين الزاوي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، عضو مكتب ومنسق مشروع الفدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية ، شتنبر 2020.

21. القانون رقم. 39.12. المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية الصادر بتنفيذه الظهير الشـريف رقـم. 1.12.66. الصـادر في. 4 ربيع الأول 1434 (16 يناير 2013) http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/LOI.39-12.FR.pdf

22. مقابلة مع الحسين الزاوي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية وعضو مكتب أغرو شالنج المغرب ومنسق مشروع الدعم السويسري للجمعيات المهنية/ الفدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية، شتنبر 2020.

إضافة إلى الصعوبات المتعلقة بشراء المدخلات (غير المدعمة)، ينبغي أن تعتمد الفلاحة البيولوجية المعتمدة من حيث المبدأ على زراعة البذور البيولوجية وبذور الفلاحين، ومع ذلك، فإنه يصعب العثور على هذا النوع من البذور نظرا لاحتكاره من طرف قطاع البذور التجارية، في حين لا يسمح لفلاحي البذور البيولوجية في القطاع الخاص ببيعها، مما يعني وجود استثناءات لاستخدام البذور الموحدة غير المعالجة وهو ما سيؤثر على المشروع من حيث الموضوع. إضافة إلى ذلك ينص القانون على إلزامية حماية المنتجات البيولوجية عن طريق تغليفها بأغلفة، غالبا ما تكون من البلاستيك، والتي تتعارض أيضًا مع نهج حماية البيئة، وذلك لكي لا يتم تلوثها أو خلطها مع غيرها من المنتجات غير البيولوجية.

نتيجة لذلك، فإن معظم المشتغلين في مجال الفلاحة الإيكولوجية لا يعتبرون أنفسهم أهدافًا إيجابية للسياسات العامة. ولا يشك أمين دافيد رزرازي، فلاح متخصص في الفلاحة المستدامة في جهة دكالة، في أن «البرنامج الفلاحي المغربي مخصص للمحاصيل المكثفة وليس للفلاحة الإيكولوجية»[23]. وقد مارس أمين دافيد رزرازي التربية المكثفة للماشية بالطريقة التقليدية لمدة سبع سنوات، قبل أن ينتقل إلى الفلاحة المستدامة ويوضح قائلا «لدي رغبة مستمرة في العيش في وسط طبيعي مكتفٍ ذاتيًا من حيث الطاقة» ويضيف «وأنا في خضم أبحاثي، تعرفت على الفلاحة المستدامة، فقررت الجمع بين مهنتي وصحتي. أقوم حاليا ببيع السلال والعسل والحيوانات. ومع ذلك، لم أستفد يوما من أية مساعدة. لقد حاولت باستمرار الحصول عليها، لكنني استسلمت في النهاية لأن الأمر لم ينجح. أنا لا أملك أي شيء مثير لاهتمام البرنامج المغربي»[24]. ومثله في ذلك كثيرون غيره، وهو ما يوضح هذا النقص في البرامج الوطنية، معترفًا بأن بعض المشاريع لا تزال رغم ذلك تخدم البيئة إن لم تكن تخدم عالم الفلاحة الإيكولوجية نفسها. صلاح الدين العزوزي على سبيل المثال، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية بمنطقة وزان، يعترف بأن «برامج غرس الأشجار في دائرة المياه والغابات تدعم الفلاحة الإيكولوجية بشكل غير مباشر»[25].

من أجل التغلب على هذه الصعوبات ولتعزيز القيم الشاملة للفلاحة الإيكولوجية، عملت شبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب على إنتاج علامتها الخاصة وفقًا لنموذج (النظام التشاركي للضمان SPG)، بدعم من مؤسسة القرض الفلاحي للتنمية بالمغرب. ويتعلق الأمر بنظام ضمان وجودة راسخ محليًا أطلق عليه إسم «الفلاحة الإيكولوجية في المغرب»، وتقوم هذه العلامة على مشاركة الفلاحين والمستهلكين والموزعين التطوعية، ويعتمد هؤلاء الفاعلون على التبادل والثقة مما يساهم في إيجاد بديل عن غياب إشراف الدولة، وقد تم تطوير هذا النظام في أوروبا وأمريكا اللاتينية خلال الثمانينيات، وتم التعريف به مؤخرًا في المغرب في عام 2018. وقد أطلقت شبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب مرحلة تجريبية لهذه العلامة في منطقة الرباط، قبل أن تتوسع في منطقة مراكش سنة 2020.

هناك فرق كبير بين شهادة المنتج البيولوجي التي تشرف عليها الدولة وعلامة الفلاحة الإيكولوجية التي اقترحتها هذه الشبكة الجمعوية. فوفقًا للرئيس السابق لـشبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب فإن «شهادة المنتوج البيولوجي هي علامة عامة، وهي بدون أدنى شك أكثر تطورا من علامة الفلاحة الإيكولوجية. ومع ذلك، فإن دفاتر التحملات مختلفة. بالنسبة لنا، نحن المشتغلون في مجال الفلاحة الإيكولوجية، لا يمكننا الإستغناء عن التنوع البيولوجي والفلاحة المتعددة. نعتمد في العلامة الخاصة على عناصر أخرى: إحداها تتعلق بالمياه، أخرى بالنفايات، وأخرى بالعمال الذين يعملون في المزرعة. وهي علامة واسعة من حيث المعايير، كما أنها علامة تشاركية مما يجعلها بحاجة إلى التطور باستمرار على عكس علامة المنتوج البيولوجي التي لا تتغير منذ لحظة منحها إلى أن يتم تعديل القانون»[26].

هناك العديد من الأطر الحكومية وغير الحكومية التي تتيح الإعتراف بالفلاحة المستدامة سواء في شكل علامة أو شهادة، ملخصة في الجدول أدناه. فحتى وإن كان الفلاحون العاملون في الفلاحة البيولوجية الصناعية وأنصار الفلاحة الإيكولوجية والفلاحة المستدامة لا يتشاركون رؤية واحدة فإن النقاش الجاري بينهم يثبت بأن التغيير المعياري في طور التحقق. فكما لاحظت فطومة الجيراري بنعبد النبي، مؤسسة جمعية الأرض والإنسانية المغرب، فإن «الفلاحة الإيكولوجية والفلاحة البيولوجية متوافقان ومتكاملان. فنحن بحاجة إلى حماية البيئة، لكننا بحاجة أيضًا إلى خلق قيمة مضافة حتى نتمكن من التصدير. إن جميع أشكال الفلاحة المستدامة مهمة. صحيح أن بعضها أكثر توجهاً نحو التجارة، لكن هل يمكننا الاستغناء عن التجارة؟ لا أدري»[27].

---

23. مقابلة مع دافيد أمين الرزرازي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، جهة دكالة، شتنبر 2020.
24. نفس المرجع السابق.
25. مقابلة مع صلاح الدين العزوزي، مكون منتج في الفلاحة الإيكولوجية، جهة اوزان. شتنبر 2020.
26. مقابلة مع أني ملوكي، الرئيسة السابقة لشبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.
27. لقاء مع فطومة الجيراري، مؤسسة جمعية الأرض والإنسانية في المغرب، واختصاصية في الفلاحة الإيكولوجية جهة الدارالبيضاء، نونبر 2020.

© رشيدة المهديوي

إن وجود القوانين والمشاريع المشار إليها في الجدول أدناه يبشر بإمكانية تحقيق تطور في المستقبل، فنجد على سبيل المثال تنفيذا لعقد برنامج حكومي خاص بالفلاحة البيولوجية خلال الفترة ما بين 2011 و2020، ويتعلق الأمر بأول برنامج مخصص لهذا القطاع، وقد نص عند انطلاقه على إنشاء تسعة ملايين يوم عمل بحلول عام 2020 مقابل مليون يوم عمل في عام 2012، وكذا مضاعفة المساحة المزروعة بيولوجيا إلى عشرة أضعاف. وصرحت فاطمة الزهراء الميري، إطار عال بوزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، قائلة: « لا شك في أن الوزارة ترغب في زيادة عدد الفلاحين في هذا القطاع»(30). وتكمن الصعوبة في كون القوانين صارمة للغاية وأن صفة «بيولوجي» محجوزة للمستثمرين والمستهلكين الذين يملكون قدرا كبيرا من الموارد المالية.

وبعيدا عن الدولة فإن العقبة الأساسية التي تقف أمام إضفاء الطابع الديمقراطي على الفلاحة الإيكولوجية هي تأثير جماعات الضغط في صناعة الأغذية الفلاحية، ولا سيما شركات البذور، التي يعززها اختيار المواطنين للاستهلاك.

© يسرى أبورابي

28. https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-02137637/document

29. https://www.fellah-trade.com/fr/developpement-durable/contrat-programme-2011-2020-filiere-biologique

30. مقابلة مع فاطمة الزهراء الميري، إطار عال بوزارة الزراعة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، جهة الرباط، نونبر 2020.

القوانين والمراسيم والبرامج المؤطرة للفلاحة المستدامة

2013	القانون رقم 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية «يحدد هذا القانون قواعد إنتاج المنتوجات الفلاحية والمائية المنتجة وفق نمط الإنتاج البيولوجي وتهييئها وتسويقها وكذا التزامات الفاعلين الذين يرغبون في استفادة منتوجاتهم من بيان «منتوج بيولوجي»[31].
2014	المرسوم رقم 2-13-358 لتحديد تركيبة وكيفية عمل اللجنة الوطنية للإنتاج البيولوجي. طبقا للقانون رقم 12-39 اللجنة المكلفة بإبداء الرأي في المصادقة على دفاتر التحملات النموذجية المتعلقة بالإنتاج البيولوجي والمصادقة على الرمز الذي يجب وضعه على المنتوجات البيولوجية ومنح اعتماد هيئات المراقبة والمصادقة أو سحبه[32].
2015	مرسوم رقم 2-13-359 لتطبيق القانون 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية ينص على الشروط العامة للإنتاج البيولوجي ونظام المراقبة والمصادقة على المنتوجات البيولوجية [33].
2017	- قرار وزارة الزراعة والصيد البحري عدد 15-271 القاضي بإصدار ونشر دفتر التحملات النموذجية المتعلقة بالإنتاج البيولوجي للمنتجات النباتية[34]. - قرار وزارة الزراعة والصيد البحري عدد 17-2974 المحدد للشروط الخاصة بتربية الدواجن البيولوجية[35]. - قرار وزير الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات عدد 17-3206 القاضي بإصدار ونشر دفتر التحملات النموذجي المتعلق بالمنتوجات الغذائية وأعلاف الحيوانات المعدة بطريقة الإنتاج البيولوجي[36].
2018	الزراعة البيولوجية المغربية المصادق عليها وسارية المفعول منذ شتنبر 2018.
2018	تطوير علامة «الفلاحة الإيكولوجية» من طرف شبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب من خلال الحملة الأولى التي تضم 16 مزرعة مسماة في عام 2018

31. الظهير رقم 1-12-66 صادر في 4 ربيع الأول 1434 (16 يناير 2013) بتنفيذ القانون رقم 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية، الرابط: http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/LOI.39-12.FR.pdf

32. المرسوم رقم 2-13-358 الصادر في 8 جمادى الأولى 1435 (10 مارس 2014) لتحديد تركيبة وكيفية. عمل اللجنة الوطنية للإنتاج البيولوجي. الرابط: http:// www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/SDOQ/DEC.2-13-358. FR.pdf

33. مرسوم رقم. 2.13.359 الصادر في 8 جمادى الأولى 1435 (10 مارس 2015) لتطبيق القانون 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية. الرابط: http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/SDOQ/DEC.2-13-359. FR.pdf

34. Agriculture biologique, ONSSA, URL : http://www.onssa.gov.ma/fr/195-reglementation/972-agriculture-biologique

35. نفس المرجع السابق. الرابط: http://www.onssa.gov.ma/fr/195-reglementation/972-agriculture-biologique

36. نفس المرجع السابق. الرابط: http://www.onssa.gov.ma/fr/195-reglementation/972-agriculture-biologique

© يسرى أبورابي

© يسرى أبورابي

قـطـــــاع واعـــــد

على الرغم من الصعوبات التي تواجهها الفلاحة الإيكولوجية إلا أنه مجال واعد. فمع تلاشي المعتقدات الشائعة حول سعر الاستهلاك البيئي أو فائدته، يزداد عدد المستهلكين والمنتجين، وإن كان معظم مستهلكي منتوجات الفلاحة الإيكولوجية من المقيمين الأجانب، فقد ازدادت حاليا حصة المغاربة من هذه المنتوجات. وقد اختارت هذه الموجة الجديدة من المستهلكين عن وعي الرفع من الميزانية المخصصة للأكل الصحي وتكييف وجباتهم مع المنتوجات الموسمية.

إذا قمنا بإحصاء الفلاحة البيولوجية لوحدها بين عامي 2010 و2020، فإن مساحاتها المزروعة قد زادت من 4000 هكتار إلى 10000 هكتار تقريبا[37]، يضاف إليها القطع المسماة «التلقائية» (أي الأراضي التي لم يزرعها الإنسان) والمصادق عليها على أنها بيولوجية والتي قدرت في عام 2020 بما قدره 180 ألف هكتار[38]. لا تشمل هذه الأرقام القطع المزروعة باعتماد الفلاحة الإيكولوجية الغير مصادق عليها من طرف شبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب «ريام». وبالتالي فإن جميع الأراضي المزروعة بطريقة بيولوجية أو بطريقة الفلاحة الإيكولوجية أو الفلاحة المستدامة أو الزراعة المتجددة تمثل تنوعًا كبيرًا في الإنتاج.

ويزداد تنوع المزارع نفسها، فبعضها مخصص لتصدير المنتوجات، وأخرى تمثل حدائق الفلاحين من القطاع الخاص التي تجمع بين بيع السلال البيولوجية أو تزويد المطاعم أو الزيارات التعليمية. كما قد نجد أيضًا حدائق لدار الأيتام ممولة من طرف برامج التمويل المجتمعي[39] وأخرى مدعومة من طرف القطاع الجمعوي مثل «قرى الأطفال SOS Village».[40]

---

37. أرقام الفيدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية، الموقع الإلكتروني، اطلع عليه في شتنبر 2020: https://fimabio.ma/au-maroc/

38. http://www.agri-mag.com/2020/01/journee-nationale-de-reflexion-autour-de-la-filiere-biologique-au-maroc/

39. مقابلة مع جوليان سانسوليو، مستشار ومكون في الفلاحة الإيكولوجية، الدار البيضاء. شتنبر 2020.

40. مقابلة مع فطومة الجيراري بنعبد النبي، مؤسسة جمعية الأرض والإنسانية المغرب ومتخصصة في الفلاحة الإيكولوجية ، الدار البيضاء، نونبر 2020.

© يسرى أبورابي

المساحات المخصصة للفلاحة البيولوجية بالمغرب سنة 2018[41]

طـرق الزراعـة	المسـاحـة بالهـكـتـار
المساحة المزروعة المصادق عليها	9 500
المساحة المزروعة بالتحويل	980
مساحة النباتات التلقائية المصادق عليها	273 000
المجموع	**282 480**

المصدر: مديرية تطوير قطاعات الإنتاج / قسم منح الرخص

© يسرى أبورابي

41. شيبان علال، «القطاع البيولوجي في المغرب: الحالة الراهنة واستراتيجيات التنمية»، تقرير وزارة الفلاحة المغربية والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، وزارة الغذاء والزراعة الألمانية، ماي 2020.

توصيـات لصنـاع القـرار

يمكن لمنتجي الفلاحة الإيكولوجية في المغرب الإستفادة من نفس المساعدات والإعانات التي يستفيد منها المنتجون التقليديون. لكنهم ليسوا بحاجة إلى كل هذه المساعدات، بل يحتاجون إلى مساعدات مخصصة. فإذا كان المتخصص في مجال الفلاحة الإيكولوجية يستخدم نظام الري بالتنقيط ويلجأ أحيانا إلى شراء شبكات الأمان، فإنه لا يحتاج بالضرورة إلى مواد أخرى مخصصة للفلاحة الصناعية. لذلك ولدعم الفلاحة الإيكولوجية يجب أن تكون المساعدة الممنوحة محددة، وتشمل بالخصوص:

- القيام بدورات تكوينية لفائدة الفلاحين والفلاحات في مجال تقنيات الفلاحة الإيكولوجية وذلك من أجل تشجيعهم على الإنتقال إلى الفلاحة المستدامة.
- تيسير انتاج البذور البيولوجية وتبادلها.
- توفير الأجهزة الصغيرة.
- منح تعويضات مالية للفلاحين الراغبين في الإنتقال من النموذج التقليدي إلى الفلاحة الإيكولوجية تغطي تكاليف فترة تجديد الأرض.
- توعية المستهلكين وتسهيل شبكات تسويق السلال البيولوجية.
- تطوير البحث العلمي الذي يسمح بالإبتكار في مجال التقنيات الخاصة بالفلاحة الإيكولوجية.
- تسهيل الحصول على الأراضي المراد تخصيصها للفلاحة الإيكولوجية.
- جمع المعلومات حول الإنتاج والقطع المزروعة ومشاركتها عبر منصات رقمية عامة.
- تطوير قنوات التسميد البيولوجي المحلية.

لا يبحث كل المشتغلين في مجال الفلاحة الإيكولوجية عن مساعدات حكومية، فبعضهم يرى أنه لا جدوى من ذلك ويكتفي فقط بأمله ألا يكون هدفا لبرامج التصنيع الفلاحي. يحيلنا هذا على تحديد المناطق المخصصة للفلاحة الإيكولوجية المحمية والتي لا يمكن أن تكون موضوع فلاحة تقليدية داخل مساحة محددة. ومع ذلك، يشكل هذا الإجراء في حد ذاته شكلا من أشكال مشاركة الدولة وتخطيطها.

يبدو إذا، ومن وجهة نظر سياسية، أن المتخصص في الفلاحة الإيكولوجية الذي يعتبر هامشيا في ظل الوضع الطبيعي الفلاحي الذي تشرف عليه الدولة، يفيد الدولة أكثر من الفلاح التقليدي. ففي الواقع، يندرج هذا الأخير ضمن منطق نيو ليبرالي من شأنه إبراز اعتماد الدولة على شركات الكيماويات الفلاحية المتعددة الجنسيات بينما يشجع متخصص الفلاحة الإيكولوجية على التخطيط الاجتماعي والاقتصادي للدولة.

© رشيدة المهديوي

خـاتـمـة: التفكيـر في مـزيـج فـلاحـي

إن سـوق المنتوجـات البيولوجيـة ومنتوجـات الفلاحـة الإيكولوجيـة فـي أوج ازدهاره.،حيـث يقـدم حاليـا حوالـي خمسـة عشـر متجـرًا ومطعمًـا هـذا النـوع مـن المنتوجـات. فحسـب تقديـر معهـد أبحـاث الفلاحـة البيولوجيـة (Research Institute of Organic Agriculture) الكائـن فـي سويسـرا[42] والـذي يعمـل بالتعـاون مـع وزارة الفلاحـة المغربيـة فـإن سـوق المنتوجـات البيولوجيـة سـيظل سـوقا متخصصًـا فـي الوقـت الحالـي، لكنـه سـيؤثر علـى مـا يقـرب 1% مـن السـكان، أي 350.000 شـخصا مـن أصـل 35 مليـون نسـمة، وهـو عـدد لا يسـتهان بـه.

غالبًـا مـا يُسـتغل البعـد المتخصـص كحجـة علـى عجـز الفلاحـة الإيكولوجيـة عـن المسـاهمة فـي الأمـن الغذائـي، ومـع ذلـك، فـإن وجـود سـوق مسـتدام لا يتعـارض مـع الفلاحـة التقليديـة، تمامًـا كمـا لا يتعـارض وجـود سـوق فرعيـة للفلاحـة الإيكولوجيـة مـع السـوق البيولوجيـة الفرعيـة المصـادق عليهـا، بـل علـى العكـس تمامـا، فتنـوع أنـواع الإنتـاج وأماكنهـا يسـاهم فـي ضمـان اسـتمراريتها واسـتدامتها كمـا يعـزز السـيادة الغذائيـة للـدول. يعتمـد الأداء الجيـد لـكل هـذه الأسـواق علـى تخطيـط المناطـق المخصصـة وتحديدهـا مـن قبـل الدولـة وكـذا علـى التأطيـر الـذي يسـمح بالإعتـراف بهـا مـن خـلال العلامـات والشـهادات.

تكمـن الإجابـة علـى الجـدل القائـم حـول اختيـار أفضـل نمـوذج فلاحـي فـي فكـرة «المزيـج الفلاحـي»، فالتنـوع أمـر ضـروري لمحاربـة ظاهـرة الاحتبـاس الحـراري والمسـاهمة فـي اسـتدامة الاقتصـادات المنتجـة. ففـي المجـال الطاقـي، يحيـل المزيـج الطاقـي علـى اسـتخدام مـوارد طاقيـة متنوعـة مسـتدامة وأحفوريـة فـي نفـس الوقـت تدمـج بيـن مـا هـو غـازي وشمسـي ونفطـي ورياحـي وطاقـي نـووي وبيولوجـي أو طاقـي مائـي مـن أجـل الإقتـراب تدريجيـاً مـن نقطـة مشـتركة مـع الطاقـات المتجـددة. ويُعَـد مفهـوم «المزيـج» فـي القطـاع الفلاحـي والـذي لا يسـتخدم فـي هـذه المرحلـة باعتبـاره مفهومـا محـددا فـي السياسـات العامة الدوليـة أو ضمـن مجـالات المفاوضـات المناخيـة، موضوعـا يسـتلزم تفكيـرا متعمقـا.

42. معهد أبحاث الفلاحة البيولوجية «دراسة حول جدوى إنشاء خدمة دعم التسويق من طرف الفيدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية لصالح أعضائها».

© بروستولیه

لائـحـــة المـراجـــع

- ليزا بوسنبروك، الراجي مصطفى؛ والعالم نجوى. «أنماط جديدة للعمل الفلاحي في سايس بالمغرب: ظهور عدم المساواة في الهوية بين العامل والعاملة؟» في: المغرب في الوقت الحاضر: من عصر إلى آخر ، مجتمع متغير ، الدار البيضاء مركز جاك بيرك، 2015، https://books.openedition.org/cjb/1054?lang=fr
- شيبان علال، «القطاع البيولوجي في المغرب: الحالة الراهنة واستراتيجيات التنمية» ، تقرير وزارة الفلاحة المغربية والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، ووزارة الغذاء والزراعة الألمانية، ماي 2020.
- أرقام الفيدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية، الرابط: https://fimabio.ma/au-maroc/
- «عقد برنامج 2011-2020 بين الدولة والقطاع البيولوجي»، فلاح تريد، الرابط: https://www.fellah-trade.com/fr/developpement-durable/contrat-programme-2011-2020-filiere-biologique
- تصريح سليم قباج، رئيس نادي المقاولين بيو للوماتان تي في على هامش ملتقى «بيو إكسبو ماروك» الدار البيضاء، 21 يونيو 2019. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=-G_oHiGvidQ
- المرسوم رقم 358-13-2 صادر في 8 جمادى الأولى 1435 (10 مارس 2014) لتحديد تركيبة وكيفية. عمل اللجنة الوطنية للإنتاج البيولوجي. الرابط: http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/SDOQ/DEC.2-13-358.FR.pdf
- المرسوم رقم 359-13-2 صادر في 8 جمادى الأولى 1435 (10 مارس 2015) لتطبيق القانون 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية. الرابط: http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/SDOQ/DEC.2-13-359.FR.pdf
- منظمة الأغذية والزراعة، «ازدهار الفلاحة الزراعية: نحو رؤية متماسكة» ، أبريل 2007، الرابط: http://www.fao.org/ag/fr/magazine/0704sp3.htm
- أرقام الفيدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية، الرابط: https://fimabio.ma/au- maroc
- هربوز غ. بيليسيي جيب ي رولاند جيب ي خيشيمي «تقرير تجميعي حول الفلاحة في المغرب»، CIHEAM- IAMM 2019، ص. 104، الرابط: https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-02137637/document
- «اليوم الوطني للتفكير حول القطاع البيولوجي بالمغرب» فلاحة المغرب، الرابط: http://www.agri-mag.com/2020/01/journee-nationale-de-reflexion-autour-de-la-filiere-biologique-au-maroc/
- «الإنتاج العضوي في المغرب» الفلاحة في المغرب: http://www.agri-mag.com/2017/04/la-production-biologique-au-maroc
- الظهير رقم 66-12-1 صادر في 4 ربيع الأول 1434 (16 يناير 2013) بتنفيذ القانون رقم 12-39 المتعلق بالإنتاج البيولوجي للمنتوجات الفلاحية والمائية، الرابط: http://www.onssa.gov.ma/images/reglementation/reglementation_connexe/LOI.39-12.FR.pdf
- قانون الفلاحة البيولوجية، المكتب الوطني للسلامة الصحية للمنتجات الغذائية، الرابط: http://www.onssa.gov.ma/fr/195-reglementation/972-agriculture-biologique
- معهد أبحاث الفلاحة البيولوجية «دراسة حول جدوى إنشاء خدمة دعم التسويق من طرف الفيدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية لصالح أعضائها» فريكي، الرباط، أبريل 2019، 38 صفحة.

- هربوز غ. بيليسيي جيب ي رولاند جيب ي خيشيمي «تقرير تجميعي حول الفلاحة في المغرب»، 2019، ص. 104، الرابط: https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-02137637/document
- كلمة السيدة فلورانس رول، ممثلة منظمة الأغذية والزراعة بالمغرب، خلال ندوة للقرض الفلاحي المغربي، ومنظمة الأغذية والزراعة الفاو، والفدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية حول «الفلاحة المستدامة، مسارات متعددة نحو تنمية شاملة وبيئية» على هامش المعرض الدولي للفلاحة بالمغرب، مكناس، أبريل 2019.

المقـــابلات

- مقابلة مع عبد العزيز رامي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، مكناس، شتنبر 2020.
- مقابلة مع أحمد حكيمي، مزارع ومكون في الفلاحة الإيكولوجية، الدار البيضاء، شتنبر 2020.
- مقابلة مع أني ملوكي، الرئيسة السابقة لشبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، الرباط، نونبر 2020.
- مقابلة مع كاثرين فيليبون، عضو شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، الرباط، نونبر 2020.
- مقابلة مع دافيد أمين الرزرازي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، دكالة، شتنبر 2020.
- مقابلة مع فاطمة الزهراء الميري، إطار عال بوزارة الزراعة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، الرباط، نونبر 2020.
- مقابلة مع فلورانس رول، ممثلة منظمة الأغذية والزراعة بالمغرب، الرباط، نونبر 2020.
- لقاء مع فطومة الجيراري، مؤسسة جمعية الأرض والإنسانية في المغرب، واختصاصية في الفلاحة الإيكولوجية الدار البيضاء، نونبر 2020.
- مقابلة مع الحسين الزاوي، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية وعضو مكتب أغرو شالنج المغرب ومنسق مشروع الدعم السويسري للجمعيات المهنية/ الفدرالية البيمهنية المغربية للسلسلة البيولوجية، شتنبر 2020.
- مقابلة مع إيمان الطعيم، مديرة مؤسسة نورسيس، مراكش، نونبر 2020.
- مقابلة مع جون إيزبيك، مهندس زراعي في علوم التربة، مسؤول تقني في التعاونية المغربية الأفريقية للفلاحة الإيكولوجية ومدير مكتب الدراسات البيئية. الرباط، شتنبر 2020.
- مقابلة مع جوليان سانسوليو، مستشار ومكون في الفلاحة الإيكولوجية، جهة الدار البيضاء. شتنبر 2020.
- مقابلة مع رشيدة المهديوي، رئيسة شبكة مبادرات الفلاحة البيئية بالمغرب، جهة الرباط، نونبر 2020.
- مقابلة مع رجاء الجبالي، مديرة جمعية الأرض والإنسانية في المغرب، جهة الدار البيضاء، نونبر 2020
- مقابلة مع رضوان الخلوقي وزيارة مزرعته المتخصصة في الفلاحة الإيكولوجية، السهول، يوليوز 2020.
- مقابلة معصلاح الدين العزوزي، مكون منتج في الفلاحة الإيكولوجية، جهة اوزان. شتنبر 2020.
- مقابلة مع سهاد أزنود، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، فاس، شتنبر 2020.
- مقابلة مع زينب بنرحمون، متخصص في الفلاحة الإيكولوجية، فاس، شتنبر 2020.

© علي الجفري

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
الرباط
المغرب

حول هذه الدراسة

يقدم هذا المنشور تحليلا لواقع الفلاحة الإيكولوجية في المغرب، ويهدف إلى إثارة تفكير واسع في المعنى المعياري للفلاحة الإيكولوجية كنموذج فلاحي. قامت بإنجاز هذه الدراسة الأستاذة يسرى أبوربيع، في إطار برنامج تحويل أفريقيا «ترانسفورم أفريكا»: نحو تحول إيكولوجي واجتماعي في أفريقيا بالتعاون مع شبكة مبادرات الفلاحة الإيكولوجية بالمغرب (ريام).

الكاتبة: يسرى أبوربيع، أستاذة العلوم السياسية بالجامعة الدولية بالرباط

الناشر: مؤسسة هاينريش بل Heinrich-Böll-Stiftung الرباط المغرب

التنسيق: سفيان فارس ورشيدة المهديوي

تاريخ النشر: دجنبر 2020

التصميم والطباعة: Napalm

ترجمة: حميدة بوعزى

نشرته هاينريش بل بالرباط - المغرب، 2020.

يُسمح لكم بمشاركة هذا المحتوى وتوزيعه وإرساله عبر جميع الوسائط وبكل الأشكال حسب الشروط التالية: الإسناد: يجب إسناد العمل إلى صاحبه، مع إدراج رابط وإضافة توضيح في حالة إجراء أي تعديل على المحتوى؛ لا يستخدم العمل لأغراض تجارية: لا يسمح لكم ببيع المواد التي يتضمها هذا العمل أو بيع جزء منها؛ لا يسمح بإدخال أية تعديلات عليه: في حالة قيامكم بإعادة مزج المحتوى أو تحويله أو إنشائكم باستخدام المواد المكونة للعمل الأصلي، فلا يحق لكم توزيع العمل المعدل أو إتاحته للغير.

لا تتحمل مؤسسة هاينريش بل بالرباط - المغرب أية مسؤولية عن استعمال هذه الوثيقة من طرف الغير.

TransformAfrica هو مشروع متعدد السنوات لمؤسسة Heinrich Böll Rabat يهدف إلى إنشاء شبكة تحول وطنية تتألف من خبراء ونشطاء وممارسين من جميع البلدان الإفريقية يعملون على جوانب مختلفة من عمليات التحول الاجتماعي والإيكولوجي، وذلك لتعزيز تحويل تشاركي صحيح ومستدام وكذا من أجل تشجيع المناقشات العامة حول تطوير وتنفيذ سياسات اجتماعية وبيئية جديدة.

للمزيد من المعلومات: https://ma.boell.org/fr/sofi-3-0
فيسبوك: https://www.facebook.com/transformAfricaprogram

هـــايـــنـــريـــش بـــل الـربـــاط - المـغـــرب

17 زنقة تيداس، 10010، الرباط، المغرب
+212 (0) 537 20 20 93/94
www.ma.boell.org